القرآن ونجاح دعوة النبي

عليه الصلاة والسلام

وآراء علماء أوربا في ذلك

ألف القسيسون وأعوانهم من المتعصبين للنصرانية كتبا كثيرة في القرون المتوسطة يمثلون بها الاسلام في أقبح صورة ينتزعها خيال الكاتب منهم على حسب تمكنه في الكذب والبهتان ولما ارتقت العلوم والفنون في اوربا وضعف التعصب الأعمى على المخالف بقدر ذلك كثر الباحثون من علماء الافرنج في شؤون الشرق بالانصاف فتغير لذلك اعتقادهم في الاسلام والمسلمين وألفوا في بيان مزايا هذا الدين التي كانت مجهولة وفضائل أهله التي كانت مبخوسة كتبا كثيرة . ومن هؤلاء المؤلفين البرنس كايتاني الايطالي فإنه ألف كتاباً في تاريخ الاسلام يقال إنه كتبه بحرية وانصاف بحسب ما وصل اليه علمه . وقد زار مصر في هذا الشتاء فاحتفى به نادي المدارس العليا واكرم مثواه واثنت عليه جرائد المسلمين ثناء حسناً . وقد ترجم المؤيد في أوائل هذا الشهر تقريظ جريدة التيمس لتاريخ البرنس كايتاني ومنه هذه العبارة :

« ومن رأي المؤلف على إعجابه الفائق بصاحب الشريعة الاسلامية ان مزية النبي هي كفاءته العجيبة كسياسي محنك اكثر منه كنبي موحى اليه . ويؤيد قوله بدليل سبق إهماله حتى الآن وهو ان حنكته وحسن

سياسته افادا في تأييد سلطته اكثر من افادة القرآن او أي حجة دينية» اه نص ترجمة المؤيد لعبارة التيمس

وهذا الذي قاله كايتاني هو اعتقاد الافرنج العارفين بنشأة الاسلام، وسيرة النبي عليه الصلاة والسلام، أي انهم يعتقدون ان النبي (ص) قام بما قام به بحنكته وسياسته، لا بتاييد الله تعالى له بوحيه وعنايته، ولو لا هذا لما كان لهم مندوحة عن الدخول في الاسلام، ومثل الافرنج في هذا الرأي كل من لا يدين بالاسلام من علماء المشرق. فدعوى ان نجاح النبي (ص) كان بسياسته وحنكته أي تجاربه هي أكبر شبههم على الاسلام

ومن الشواهد على ذلك من كلام علماء بلادنا غير المسلمين الاسطر والابيات الآتية التي كتبها الي الدكتور شبلي شميل الفيلسوف المشهور بعدم التدين. حمله عليها قراءة المنار وهي:

«الى غزالي عصره السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار

«انت تنظر الى محمد كنبي وتجعله عظيما وانا أنظر اليه كرجل واجعله أعظم، ونحن وان كنا في الاعتقاد (الدين او المبدأ الديني) على طرفي نقيض فالجامع بيننا العقل الواسع والاخلاص في القول وذلك أوثق بيننا لعرى المودة

من صديقك الدكتور شميل

(الحق اولى أن يقال)

دع من محمد في سدى قرآنه ما قد نحاه للحمة الغايات (١)

---

(١) يريد بالغايات معناها اللغوي وهي المقاصد من الدنيا ويعني بالامر بتركها تركه البحث فيها أي انه يبحث في القرآن من حيث هو كتاب اجتماعي لا من حيث هو كتاب ديني كما قال لنا مشافهة

اني وان الك قد كفرت بدينه هل ا كفرنّ بحكم الآيات
اوما حوت في اصح الالفاظ من حكم روادع للهوى وعظات
وشرائع لو أنهم عقلوا بها ما قيدوا العمران بالعادات
نعم المدبر والحكيم وانه رب الفصاحة مصطفى الكلمات
رجل الحجا رجل السياسة والدها بطل[٢] حليف النصر في الغارات
ببلاغة القرآن قد خلب النهى وبسيفه أنحى على الهامات
من دونه الابطال في كل الورى من سابق او لاحق او آت

* * *

(المنار) كتب الدكتور الي بهذا لا لينشر بل ليقرأ على انه خواطر جاشت في صدره ثم بعد ان نشر المؤيد مانشره عن الشمس ورددت عليه في المجلة استأذنت الدكتور بنشر ما كتبه فاذن وهو كما يرى القارئ اكثر من البرنس كايتاني تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم وكذا للقرآن الحكيم الذي لم يدرك البرنس كايتاني تأثيره لانه لا يفهمه كالدكتور شميل. ونحن — على كوننا نشكر لشميل ما اعترف به من مزايا نبينا وكتابنا ونسأل الله ان يهديه للباقي منها وهو المهم الاعظم — لا نقول انه اعترف بنبوته ولا بحقية كون كتابه إلهيا. وننكر عليه اشد الانكار قوله ان النبي صلى الله عليه وسلم من حيث كونه رجلا أعظم منه من حيث كونه نبيا على انهم لا يعنون بمثل هذا التعبير الذي قاله شميل وكايتاني انه نبي وسياسي وان نبوته اقوى من سياسته بل يعنون انه نجح بسياسته لا بنبوته التي ادعاها ولكن المؤيد غفل عن هذا وادعى ان ماقاله كايتاني حق ولو كان حقا لكان هو وجميع علماء أوربا وعلماء اهل الكتاب والوثنيين العارفين

بتاريخ الاسلام كلهم على الحق واستلزم ذلك كون المسلمين على غير الحق فيما يتعلق بأصل دينهم لانهم يقولون بخلاف هذا القول ! !

نبهت « الجريدة » المؤيد الى هذه الهفوة وقالت ان ما ترجمه عن التيمس من قول كايتاني كفر ما كان لصاحب جريدة تفتخر بأنها اسلامية ان ينقله ويقره . فرد عليها صاحب المؤيد بقوله الآتي نقلا عن عدده الذي صدر في ٣ المحرم والعنوان منا فقط :

رأي المؤيد في القرآن

« أما نحن فنقول للجريدة . اننا نقلنا عبارة البرنس كايتاني عن التيمس ونحن نعتقد انها ليست كفرا فلا نلام اذا لم نرد عليها وأما الجريدة فقد نقلتها وهي تعتقدها كفرا ولم ترد عليها فهي المقصرة والملومة

« ان غرض البرنس كايتاني من عبارته ظاهر وهو الاعجاب باخلاق النبي صلى الله عليه وسلم واعتبارها فوق كل قوة دينية أخرى كانت له . والله تعالى يقول في كتابه الكريم « وانك لعلى خلق عظيم » فلم يرد البرنس كايتاني بقوله هذا حطا من شرف الدين الاسلامي ولا تحقيرا للقرآن الكريم وماذا يفعل القرآن وحده اذا كان الداعي به على اخلاق غير الاخلاق العالية التي اشتهرت عن النبي صلى الله عليه وسلم : بل القرآن نفسه يقول « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » فجعل مناط قوة ارتباط المؤمنين به والتفافهم حوله وانتصارهم له وفدائهم اياه بالنفس والمال سلامة أخلاقه من العيوب المنفرة . فلو كان فظا غليظ القلب ما نفعه قرآن ولا هيئة دينية . وهذا كلام يقوله كل مسلم يعقل ويعرف ما هو الاسلام الذي

جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وروحه الاخلاق الشريفة التي أعجب بها البرنس كابتاني

«وليس المقام مقام مقارنة بين القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم وأيهما أفضل لان هذا لا يؤخذ من عبارة البرنس كابتاني ولا هو غرض مؤرخ كبير كهذا بل هذه المباحث العقيمة الآن تليق بجريدة مثل «الجريدة» لا يذوق محررها طعما لكلام مؤلف ولا يعرف وزنا لقيمة رأي مؤرخ

«أليس القرآن بيننا الآن كما هو بين المسلمين منذ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حتى الآن ؟ فهل يستطيع مسلم ان يقول ان قوة الاسلام الحقيقية كانت في عهد مثلها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم . وهل لذلك سبب سوى الاخلاق العالية التي وهبها الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم وهل اخلاقه الفائقة الا موهوبة من عند الله وهي معجزة من معجزاته فهل يكون كافرا بالله من قال ان قوة هذه المعجزة بخصوصها كان لها دخل في فتوحات الاسلام على عهد النبي صلى الله عليه وسلم اكثر من كل معجزة دينية أخرى

ان للقرآن الكريم وظيفة أخرى لا يشاركه فيها مشارك وهي كونه شريعة الهية جمعت بين مصالح الدين والدنيا فحاق بهذه المزية كل الكتب الالهية الاخرى كما فاقها في الاسلوب والبيان فهل ينقص من فضل القرآن ومزيته ان يقال ان أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم كانت قوة تأثيرا في فتوحاته وبسطة سلطانه

«هذا ما أردنا بيانه ونترك للجريدة المشاغبة واللغط والوثوب من خطأ الى غلط» اه كلام المؤيد

(المنار) ان المؤيد جرى في الرد على الجريدة في هذه المسألة على طريقة المراء المعتاد في المناقشات السياسية فحرف كلام كايتاني عن موضعه وجعله من باب الاعجاب بالاخلاق التي أكرم الله بها نبيه وتفضيل تأثيرها على تأثير القرآن وانما كلام كايتاني في غير ذلك اذ زعم ان جعل نجاح النبي (ص) أوكله بسياسته وحنكته أي تجاربه لا اخلاقه الموهوبة من الله — كما قال فيه الدكتور شميل انه رب السياسة والدهاء . وكان للمؤيد مندوحة عن تأييد شبهة كايتاني وتقويتها بأن يقول للجريدة انه سكت عليها لانه لا يطالب غير المسلم بأن يقول في الاسلام أكثر من ذلك مع العلم بأن المسلمين لا يأخذون عقيدتهم عن مؤرخ نصراني . ولكنه لم يوفق لذلك فاضطررنا الى كشف الشبهة بالمقالة الآتية في الجريدة

رد شبهة المؤيد على القرآن (*)

يقول المنكرون لنبوة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام سواء كانوا من الأوربيين أو غيرهم انما تم على يديه من جمع كلمة العرب وكذا وكذا مما هو ثابت في التاريخ انما كان بالدهاء والسياسة وسمو الافكار وعلو الاخلاق التي يكون عادة لكثير من الرجال كالبرنس بسمارك ونابليون الاول . وان ما ادعاه من النبوة وما جاء به من القرآن لا تأثير لها في نفسها وانما التأثير له هو بنفسه وبهما لانه استخدمها في تنفيذ

(*) كتبنا هذه المقالة في ادارة الجريدة على عجل ولم يكن في يدنا مصحف نراجع فيه عدد السور والآيات للشواهد التي أوردنا فيها فوضعنا الاعداد الآن ولم نزد في المقالة شيئا سواها على نقلت عن الجريدة بحروفها

سياسته (١٨: ٥ كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا)

ويعتقد المسلمون ان النبي (صلى الله عليه وسلم) بشر كسائر البشر لا يمتاز على غيره الا بالنبوة وما تستلزمه كما هو نص قوله تعالى (١٨: ١١٠ قل انما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ) الآية . وقوله تعالى (١٢: ١٠٩ و١٦: ٤٣ و٢١: ٧ وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم)

ويعتقدون ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى سن الشباب وبلغ الأربعين ولم يعمل عملا اجتماعيا ولا سياسيا وان ما تم على يديه بعد ذلك انما كان بالنبوة التي اختصه الله بها وبالقرآن الذي أوحاه اليه فكان روحا أحياه به حياة جديدة وأحيا به من اتبعه فكان اهتداء الجميع بالقرآن لا بتأثير صفات النبي الشخصية كما قال تعالى (٤٢: ٥٢ وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا) فالله تعالى هو الذي هدى المؤمنين بكتابه ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي هداهم بصفاته البشرية وكفاءته الشخصية ولذلك أنزل الله عليه قوله (٢٨: ٥٦ انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) وقوله (٨: ٦٣ لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم)

بل يعتقد المسلمون ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يرتقي في أفكاره وأخلاقه بالقرآن نفسه فكلما أنزل الله عليه شيئا منه ازداد كمالا به ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لمن سألها عن أخلاقه كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن رواه مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده وغيرهما

ومما هداه الله تعالى اليه بكتابه مشاورة أصحابه في الامر فكان

يستشيرهم ويعمل برأي الجمهور وان خالف رأيه كما فعل في غزوة أحد وكانوا يسألونه اذا أشار بأمر هل هو وحي فيطاع بلا بحث ولا تردد أم هو الرأي ليذكروا ما عندهم فاذا قال هو الرأي ذكروا ما عندهم كما كان يوم بدر وقد ترك صلى الله عليه وسلم رأيه الى رأيهم

فمن هذه العجالة يعلم ان القرآن هو الاصل في هداية الرسول صلى الله عليه وسلم وهداية أصحابه عليهم الرضوان الى كل ما تم على يديه وأيديهم معه وبعده مما أدهش التاريخ اذ لم يجد له نظيرا . ولو شئنا لأتينا بأكثر مما أتينا به من الشواهد على ذلك من الآيات والأحاديث ووقائع السيرة النبوية وتاريخ الراشدين ولكن ما جئنا به كاف في التذكير بما يؤمن به كل مسلم

هذا هو اعتقادنا نحن المسلمين وذلك الذي ذكرنا في أول المقال هو اعتقاد من ينكر صحة ديننا ونبوة نبينا (صلى الله عليه وسلم) ويزعمون ان الاسلام وما فيه من المزايا وما تم له من النجاح كان منشؤه سياسة النبي صلى الله عليه وسلم وحنكته كما يعهد من الرجال العظام عادة ؟

وقد نقل المؤيد في يوم الاحد الماضي عن جريدة التيمس عبارة للبرنس كايتاني الايطالي مؤلف تاريخ الاسلام في ذلك الاعتقاد الذي يراد به هدم الاسلام وهي « ومن رأي المؤلف على اعجابه الفائق بصاحب الشريعة الاسلامية ان مزية النبي هي في كفاءته العجيبة كسياسي عملي اكثر منه كنبي موحى اليه . ويؤيد قوله بدليل سبق اهماله حتى الآن وهو ان حنكته وحسن سياسته أفادا في تأييد سلطته أكثر من افادة القرآن وأي حمية دينية » ؟

نقل المؤيد هذه العبارة وأقرها فأنكرت عليه (الجريدة) ان ينقل الكفر ويقره على نحره بكون جريدته اسلامية وكونه من أبناء الازهر . فماذا أجاب صاحب المؤيد على هذا الانكار ؟ أجاب بأنه يعتقد ان تلك العبارة (التي تنيط نجاح عمل النبي صلى الله عليه وسلم بالحنكة والسياسة لا بالنبوة) ليست كفراً وبين ذلك بما هو العجب العجاب . قال في العدد الذي صدر أمس (يوم الاربعاء ثالث المحرم) مانصه :

« ان غرض البرنس كايتاني من عبارته ظاهر وهو الاعجاب باخلاق النبي صلى الله عليه وسلم واعتبارها فوق كل قوة دينية أخرى كانت له والله تعالى يقول في كتابه الكريم « وانك لعلى خلق عظيم » فلم يرد البرنس كايتاني بقوله هذا حطا من شرف الدين الاسلامي ولا تحقيراً للقرآن الكريم . وماذا يفعل القرآن وحده اذا كان الداعي به على أخلاق غير الاخلاق العالية التي اشتهرت عن النبي صلى الله عليه وسلم . بل القرآن نفسه يقول « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » بجعل مناط قوة ارتباط المؤمنين به والتفافهم حوله وانتصارهم له وفدائهم اياه بالنفس والمال سلامة أخلاقه من العيوب المنفرة فلو كان فظاً غليظ القلب ما نفعه قرآن ولا حمية دينية . وهذا كلام يقوله كل مسلم يعقل يعرف ما هو الاسلام الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وروحه الاخلاق الشريفة التي أعجب بها البرنس كايتاني »

ونحن نقول له انه لا يوجد مسلم يعقل ويعرف ماهو الاسلام يقول مايزعم صاحب المؤيد ان كل مسلم يقوله . وانما يقول كل مسلم ان روح

الإسلام هو القرآن الذي به بلغت الاخلاق من أنزل عليه تلك الدرجة العالية كما قالت عائشة وهذه هي العقيدة التي صرح بها القرآن في الآية التي أوردناها آنفا وهي «وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا» ولولا القرآن لما اجتمع حوله صلى الله عليه وسلم أحد ولما فعل شيئا ولما فداه المؤمنون بالنفس والمال فقد صرح الله تعالى بأن كل عمل له كان بالقرآن فهل تتبعه أم تتبع كاتبا في واضع ابه الذي يقولون ان كل ذلك كان بمزايا الشخصية البشرية

كاد يقع بين الاوس والخزرج العدوان وتصل نار الحرب لمناظرة وقعت فنزل قوله تعالى (٣ ١٠٣ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) الآيات فرجعوا وتابوا وأنابوا وحبل الله هو القرآن ولم يقل ان سياسة النبي وحكمته وأخلاقه هي التي ألفت بين قلوبهم . على ان اخلاقه هي القرآن فهو أصل كل شيء

قال صاحب المؤيد بعد ذلك في الاستدلال على عدم كون القرآن هو منبع قوة المسلمين «أليس القرآن بيننا الآن كما هو بين المسلمين منذ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حتى الآن فهل يستطيع مسلم ان يقول ان قوة الاسلام كانت في عهد مثلها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وهل لذلك سبب سوى الاخلاق العالية التي وهبها الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم»

ونقول في دفع هذه الشبهة ان المسلمين كانوا في قوة وعزة ما كانوا عاملين بالقرآن في عهده صلى الله عليه وسلم كانوا اشد استمساكا بحبله المتين وعروته الوثقى لا لصفات النبي الشخصية البشرية بل لنبوته وما لها من المزايا والقدوة به في تمسكه بالقرآن التي عاتبه الله تعالى على مبالغته فيها بمثل

قوله (٢٠ : ١ طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى) ثم كانوا في زمن أبي بكر وعمر مقربة من ذلك ثم صاروا يتدلون بترك القرآن . ويعتقد كل مسلم عاقل عارف بحقيقة الاسلام انهم اذا عادوا الى الاعتصام به تعود اليهم قوتهم وعزتهم فهم ليسوا حجة على الاسلام (يا صاحب السعادة) بل القرآن حجة عليك وعليهم

فأدعوك الى التوبة والرجوع عما كتبت في تأييد أقوى الشبهات على الاسلام والقرآن والنبوة وأن تعلن توبتك في جريدتك وتصرح بأنك تؤمن بأن القرآن هو روح الاسلام ووحيه الى النبي صلى الله عليه وسلم وأهتداته به عمل بعناية الله ما عمل، وبرد قول كاتباتي ان حكمته وسياسته أكثر فائدة من القرآن ومن كل حمية دينية حباه الله هو ومن اتبعه اياها، فان ذلك كفر وهدم للاسلام

محمد رشيد رضا
صاحب المنار

وقد أجاب المؤيد عن هذه المقالة بما يأتي بنصه نقلا عن عدد المؤيد الذي صدر في سادس المحرم وهو :

ما عدا مما بدا

قال اللورد كرومر أمس « ان الجامعة الاسلامية تستلزم السعي في القرن العشرين في اعادة مبادئ وضعت منذ ألف سنة هدى لهيئة اجتماعية في حالة الفطرة والسذاجة وهذه المبادئ منها ما يجيز الرق ومنها ما يتضمن سفاسف وشرائع عن علاقات الرجال والنساء مناقضة لآداب أهل هذا العصر ومنها ما يتضمن أمورا أهم من ذلك كله وهو افراغ

القوانين المدنية والجنائية والملية في قالب واحد لا يقبل تغييرا ولا تحويرا وهذا ما وقف تقدم البلدان التي دان أهلها بدين الاسلام »

وقال البرنس كايتاني اليوم « ان منزلة النبي هي في كفاءته العجيبة كسياسي ممتاز أكثر منه كنبي موحى اليه — ان حنكته وحسن سياسته أفادا في تأييد سلطته أكثر من افادة القرآن أو أية حجة دينية »

فلماذا اتسع صدرنا لعبارة اللورد ورأينا من اللياقة وحسن الادب تأويلها مع انها كادت تكون صريحة في ان الدين الاسلامي دين وضعي ولم يتسع صدرنا لما قاله البرنس مع ان عبارته تشعر بانه معترف للنبي صلى الله عليه وسلم بانه نبي موحى اليه وان قرآنه مفيد ؟

اذا كانت هنالك بواعث حملت الشيخ رشيد على التفرقة بين الاثنين وتشنيع احدى العبارتين — فان الحق الذي لا تتلاعب به البواعث يشهد بان عبارة البرنس لا توجب اللوم ولا التعبير بله التضليل والتكفير !!

بل الانصاف يقتضينا الثناء على جناب البرنس والاعجاب بحرية ضميره لاعترافه بصدق النبوة كما أشرنا اليه آنفا .

أما كون البرنس جعل التأثير في تأييد سلطة النبي صلى الله عليه وسلم للمزايا التي انطوت عليها نفسه الشريفة أولا ثم للقرآن ثانيا كما هو نص عبارته — فهذا لا يقدح في قوله ولا يجعله من باب الكفر . نعم اذا كان للبرنس رأي خاص في النبي صلى الله عليه وسلم كآراء بعض رجال أوروبا فيه على ما أشار اليه الشيخ رشيد في مقدمة كلامه فهذا لا يلزمنا مناقشته فيه ما دام انه مستور في نفسه بل نراه قد صرح بضده في عبارته حيث قال انه « نبي موحى اليه » فهل لا تكون تلك العبارة قرينة

على ان البرنس ليس على رأي أولئك المنكرين لنبوته صلى الله عليه وسلم

واذا راجعنا ما قاله المفسرون في تفسير آية «ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك» وأيناهم يفسرونها بكلام يأتلف مع ما قاله البرنس كايتاني. فلم تكن عبارة البرنس اذن كفرا بل هي الحقيقة الدينية التي علم بها القرآن الكريم.

«قال الطبري في تفسير هذه الآية احتملت (يا محمد) اذى من نالك منهم اذاه وعفوت عن ذي الجرم منهم جرمه واغضيت عن كثير ممن لو جفوته واغلظت عليه لتركك فيفارقك ولم يتبعك. ولا (أي ولم يتبع) ما بعثت به من الرحمة» فقوله الاخير نص في أن مزايا النبي الذاتية كانت السبب في أن يتبعه العرب ويصدقوا بالقرآن الذي أتى به. وقال الالوسي «لانفضوا من حولك أي لتفرقوا عنك ونفروا منك ولم يسكنوا اليك وتردوا في مهاوي الردى ولم ينتظم أمر ما بعث به من هدايتهم وارشادهم الى الصراط» فعدم فظاظته وغلاظته اللتين لو كانتا فيه لذهبتا بكفاءته وحنكته وسياسته هو السبب الاول في انتظام أمر بعثته. وقال بعض المفسرين ما هو أصرح من كل ذلك كله قال «وكل واحد من الامرين (أي الفظاظة والغلاظة) لا يليق بمنصب النبوة: لان المقصود من البعثة ان يبلغ الرسول تكاليف الله الى الخلق وذلك لا يتم الا بميل قلوبهم اليه وسكون نفوسهم لديه وهذا لا يتم الا اذا كان رحيما بهم كريما يتجاوز عن ذنوبهم ويعاملهم بالبر والشفقة» فلولا كفاءته الذاتية التي هي عبارة عن مجموع مواهبه ومزاياه وخصاله الكريمة لما تم أمر البعثة فلم يلتفوا حواليه صلى الله عليه وسلم ولم يعوا القرآن الكريم الذي أنزل عليه فالكفاءة اذن

هي العامل الاول في تأييده أو تأييد سلطته الذي أراده البرنس

فهل تكون بعد هذا كله عبارة البرنس كفرا وطعنا في الدين الى حد لا تسعه صدورنا كما وسعت كلام اللورد ويكون المصريون مخطئين في اقامة الاحتفال له واعلان الثناء عليه — أم لا يكون شيء من ذلك وانما للشيخ رشيد حكمة من وراء صنيعه هذا يعلمها هو والواقفون على أطواره . وخفي أسراره اه كلام المؤيد

وقد رددنا هذا الثرثرة والمغالطة بمقالة أخرى نشرناها في عدد الجريدة الذي صدر في اليوم السابع من المحرم وهي :

جواب المؤيد عن شبهته
﴿ على القرآن ﴾

لا يترك المؤيد شغشغته في الجدال فهو يشاغب ويكابر في أصول الدين وعقائده كما يفعل في المناقشات السياسية والشخصية فقد انكرنا عليه ما كتبه في قيام الاسلام وثبات سلطته وعزوه اياه الى المسلمين وقوله انه اعتقادهم وهو ان السبب الاول والعمدة فيه هو كما يقول البرنس كايتاني سياسة النبي صلى الله عليه وسلم وحنكته أي ما أفادته اياه التجارب . انكرنا عليه هذه الدعوى وبينا له بالآيات البينات أن ذلك كان بما آتاه الله من النبوة وانزل عليه من القرآن

فرد علينا أمس بانا أولنا طعن لورد كرومر في الاسلام فلماذا ننكر على البرنس كايتاني ونشنع عليه ونخطئ المصريين الذين قاموا له بالاحتفال فاصل جواب الشيخ علي يوسف عما انكرناه عليه هو اننا

فعلنا فيما مضى فعلاً كان يجب علينا ان نعيده الآن وانما شنعنا على البرنس كايتاني وذلك يتضمن تخطئة المصريين الذين احتفلوا به .

ولقد رأى القراء انه ليس في عبارتنا تشنيع على كايتاني واكثر مايفهم من ردنا على صاحب المؤيد ان ماقرره عن البرنس كايتاني مخالف لعقيدة المسلمين في القرآن والنبي عليه الصلاة والسلام وليس هذا بتشنيع عليه لانه ليس بمسلم فيطالب بأن يكون كلامه مطابقاً لاعتقاد المسلمين . واما احتفال المصريين به فلم يأت له ذكر في كلامنا لا تصريحاً ولا تلويحاً وهم لم يحتفلوا به لانه مسلم بل لانه كتب تاريخاً صرح فيه باعتقاده من غير تحامل ولا تعصب . وقد صرح لورد كرومر باعتقاده فرأيت كما رأى المؤيد ان كلامه كاد يكون طعناً في أصل الاسلام فكتبت اليه كتابة كان أثرها انه كتب يبرئ القرآن والسنة من الطعن . وقد صرح صاحب المؤيد يومئذ بان ما كتبه لي اللورد هو رجوع عما كتب في تقريره . فانا الآن اطلب من صاحب المؤيد كما طلبت من اللورد تبرئة القرآن مما كتبه فعسى ان لا يكون لورد كرومر خيراً منه في الرجوع الى الحق بعد ماتبين له

وغرض صاحب المؤيد مما كتبه ظاهر وسببه بين وهو انه عجز عن رد الحجج التي دمغنا به دعواه في القرآن وصعب عليه الاعتراف بالحق الذي طالبناه به فانتقم منا بتحريض من احتفلوا بالبرنس علينا وهم أعلى فهما وآدابا من ان ينخدعوا بمثل ما كتب . ولم يذكر انكارنا عليه حتى لا يدري به من يقرأ المؤيد ولم يكن اطلع على الجريدة يوم الخميس الماضي تلك شفشقته وذلك مبلغه من العلم ولولا انه عاد الى تأييد قوله

الاول — بأن اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فوق كل قوة دينية كانت له أي فوق اصطفاء الله له بالنبوة وتأييده بالقرآن وان العمدة في نفوذه هي السياسة والحنكة — واحتج بقوله تعالى «ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك» لما كتبنا اليوم شيئاً في اعادة دعوته الى التوبة مما كتب والرجوع عنه كتابة في المؤيد

أقمنا الدليل في المقالة الاولى على ماقلنا انه اعتقاد المسلمين وأيدناه بالآيات والاحاديث ومنه ان اخلاق النبي (صلى الله عليه وسلم) العليا وسياسته المثلى مستمدة من القرآن فصرف الشيخ علي نظره عن ذلك وعاد ينقل لنا ماقاله بعض المفسرين في قوله تعالى «ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك» ولم يذكر الآية بتمامها لانها حجة لنا عليه فكان مثله كمثل من استدل على تحريم الصلاة بقوله تعالى «يا أيها الذين امنوا لاتقربوا الصلاة» وسكت عن قوله «وانتم سكارى» الخ

هذا نص الآية (٣: ١٥٩) فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين) فهل تدل هذه الآية على ان تلك الاخلاق العالية والمعاملة الحسنة كانت بتأييد الله اياه وتأديبه له بالقرآن كما نعتقد نحن المسلمين أم كانت بسياسته وحنكته أي تجاربه صلى الله عليه وسلم كما يقول الشيخ علي يوسف تأييداً لكلام البرنس كايتاني ؟؟

ألم يصرح جهابذة المفسرين بان قوله تعالى «فبما رحمة» يفيد ان هذا كان برحمة الله وتوفيقه اياه وان تأكيد السببية هنا بلفظ «ما»

يدل على الحصر كما في الكشاف ومعنى هذا انه لم يكن ذلك بكسبه واجتهاده ولا سياسته وتجاربه وانما هو بتأييد الله وتوفيقه . وذلك من آثار النبوة التي هي غير مكتسبة بالتجارب والسياسة ؟ ؟ ويؤيد ذلك بقية الآية وبامتثالها هي واشالها معونة تلك الرحمة كان رؤوفاً رحيماً لا فظاً ولا غليظاً. ويدعم ذلك قوله في اخرها « فاذا عزمت فتوكل على الله» ولم يقل توكل على سياستك وتجاربك

ومن أمثلة هذا في القرآن قول تعالى (٨٠: ١ عبس وتولى ٢ ان جاءه الاعمى) الآيات وسببها معروف ملخصه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو عظماء قريش الى الاسلام في أول الاسلام فجاءه عبد الله بن أم مكتوم الاعمى وهو من السابقين الاولين يسأله ان يعلمه فعبس (ص) وأعرض عنه لئلا ينفر من اقباله عليه أولئك الكبراء وكان من اجتهاده (ص) يومئذ ان الكبراء اذ دخلوا في الاسلام أولاً لا يلبث ان يتبعهم الناس فعاتبه الله على ذلك عتاباً شديداً ونهاه عن مثل ما فعل فقال (٨٠: ١ عبس وتولى ٢ أن جاءه الاعمى ٣ وما يدريك لعله يزكى ٤ او يذكر فتنفعه الذكرى ٥ اما من استغنى ٦ فانت له تصدى ؟ ٧ وما عليك الا يزكى ؟ ٨ واما من جاءك يسعى ٩ وهو يخشى ١٠ فانت عنه تلهى ؟ ١١ كلا) فعمل صلى الله عليه وسلم بهذا التأديب والتعليم الالهي من أول الاسلام فكان ذلك عوناً على استمرار دعوته التي كان روحها والمؤثر الاكبر فيها هو القرآن لا السياسة والحنكة كما يدعي الشيخ علي يوسف

اما الدلائل النقلية على تأثير القرآن في جذب العرب الى الاسلام

فهي كثيرة وأذكر لسعادة صاحب المؤيد منها اسلام عمر رضي الله عنه وهو الذي أعز الله به الاسلام كما ورد . كان عمر في الجاهلية فظاً غليظاً ولما سمع باسلام اخته وختنه (زوجها) عظم عليه الامر فجاءهما وضربها حتى أدماها وكانت تقرأ هي وزوجها صحفاً من القرآن الكريم فأخفتها عنه فما زال حتى أخذها وقرأها فجذبته الى الاسلام جذباً وكان بعد ذلك من رحمته أن كان يطوف بالليل يتفقد المحتاجين وقصته في حمل الدقيق ليلا الى موضع تلك المرأة البائسة وطبخه مشهورة

وحسبك من تأثير القرآن ان كان الغالون في العناد والجحود من كفار قريش يهربون من سماعه لئلا يجذبهم الى الاسلام بقوة تأثيره (٤١: ٢٦ وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون)

فأدعو سعادة الشيخ علي يوسف بعد هذا البيان الى الرجوع عما كتبه من قبل والتصريح بان قوة النبي الدينية ، كانت فوق كل قوة له بشرية ، وكل سياسة وحنكة عادية ، وان القرآن الحكيم هو منشأ آدابه واخلاقه وسياسته عليه الصلاة والسلام وان سيادته ونجاحه كانا بذلك قبل كل شيء وفوق كل شيء والسلام على من اتبع الهدى

محمد رشيد رضا

منشئ المنار

وبعد ان نشرنا في الجريدة ما تقدم رأينا كثيرا من اهل العلم والغيرة مرتاحين مسرورين مما كتبناه وقالوا ان هذا الرد من فروض الكفاية قمت به فسقط الحرج عن كل عالم قادر عليه . وكتب الينا عبدالله افندي الانصاري مدرس العلوم العربية في المدرسة التوفيقية ما يأتي :

حضرة العلامة الفضال صديقنا الصادق في الله تعالى السيد محمد رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله . اما بعد فلقد اطلعت في صحيفة المؤيد على ما نشرته من رأي البرنس كايتاني في محمد صلى الله عليه وسلم ومجادلتها عنه وعلى ماجاء في الجريدة عن ذلك وردكم هو الحق الصراح ، والنور الوضاح ، والبيان الفصاح ، لدسائس الملحدين ، لنور رب العالمين ، يجزاكم الله خيرا عن الاسلام واهليه ، والشرع وحامليه ، ولما رأيت مجادلة صاحب المؤيد عن ذلك الرأي ، واصراره على عدم رتق هذا الفتق ، والانصياع الى سلطان الحق ، محاباة في الرد ، ومداراة للقصد ، اختلست ساعة من أوقاتي المملوءة بالاشغال المدرسية ، كما لا يخفى لتحرير هذه المقالة تأييدا لرأيكم الاصيل ، وتسديدا لقولكم النبيل ، فأرجو نشرها ان استحسنتم في منارکم الرفيع والسلام عليكم اولا وآخرا وباطنا وظاهرا

من أخيكم عبد الله الانصاري

وهذه هي مقالة الاستاذ الانصاري المفيدة بنصها

لا هوادة في الدين

لقد جاء انتقاد الجريدة وردودها على ما نشرته صحيفة المؤيد من رأي البرنس كايتاني في مبلغ الرسالة الاسلامية واعجابها به مطفئا لما اتقد في صدور ذوي الغيرة على الدين بنفثات الذين يريدون المحاباة في الاسلام والتساهل الذي قد اتخذه كثير من دعاة المدنية العصرية من المسلمين وسيلة الى احداث شأن جديد في الدين عند من اكبرتهم نفوسهم ممن

من لا تروج لديهم بضائع اهل الملل والاديان ولا يروق في نظرهم ان ينسبوا ماجاء في الشرائع الالهية، وعلم من آداب الاديان السماوية، الا الى مجرد فطنة ودهاء واضعها بصفة كونهم ساسة عقلاء لا رسلا وأنبياء.

ذلك مايقرع الاسماع كثيرا من بعض المخالفين في كنه العقيدة الاسلامية وما القصد من ذلك الا ان ينيض اعتقاد المسلمين في قرآنهم القائم بين أيديهم الى الآن وتنفصم عراه من قلوبهم فلا يتمسكون به حتى يضعوا ايديهم في يد اهل المدنية الغربية، ولو آل الامر الى المجازاة في مثل ذلك الرأي ونبذ عقيدة ان الدين وضع الهي وان الكتاب وحي سماوي لم يكن للرسل فيه ولا للالتفاف الناس حولهم الا التبليغ والتبيين « وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا » هوّن ذلك التساهل على سعادة صاحب المؤيد أن ينشر على ملأ المسلمين ذلك الرأي بصورة رائقة ويجادل عنه وكله كما لايخفى على بصير مغاير لمخالفة لصريح القرآن، هادمة لمبنى الايمان، اذ يجعل نجاح الدعوة المحمدية، بما كان له صلى الله عليه وسلم من كمال الاخلاق البشرية والحنكة — التي ربما يقولون بعد «إنها كما تكون له تكون لغيره من البشر قبله وبعده من العقلاء المجربين، والساسة المحنكين» — اكثر من كونه نبيا مرسلا، وصاحب كتاب منزل

هكذا قال أباة الحق من العرب ومكابروهم فيه وقد خصمهم الله وألزمهم الحجة وانتهى الامر باعتراف المؤمن وغير المؤمن بسمو مكانة القرآن الكريم عند من يدرك معناه ويتصور مبناه من حين نزوله الى اليوم . أما الآن وقد مضى على التنزيل اكثر من ثلاثة عشر قرنا فقد

اصبحنا نروج هذه الدعوى ونرضاها على لسان المسيو كاينتاني ليقال انا متساهلون متسامحون ، او متنورون متمدنون

لست اقصد رمي سعادة صاحب المؤيد بما رمته به الجريدة من المروق لنشر هذا المعتقد وترويجه بين المسلمين وانما اقول أولا لا نصدق ان سعادته لا يصل ذهنه الى اعماق هذا الرأي وما وراءه ولا نسيء الظن فيه بكونه يرضاه عقيدة له فلم يكن هناك الا ذلك التساهل الذي ما ساق كثيرا من الناس اليه الآن إلا اعظام كل ما جاء على ألسنة متقصينا من موافق ومخالف ، والزهد فيما لدينا من تالد وطارف ، وإلا فليس ما رضيه الشيخ اليوم عن كاينتاني بأهون مسا ولا اخف وخزا في احشاء الاسلام من ذلك الرأي الغابر الذي ارهف له قلمه وجرده يقطر غيرة وحمية ، ام هي الاهواء ، تقبح وتحسن ما تشاء ،

ما أخسرنا واضيعنا في كل حال لو بذلنا في اغراضنا ومقاصدنا الدنيوية إسلامنا وطوحنا بقرآننا في مهاوي التساهل الماحي والتسامح الملحق لدرك كلمه تقال فينا أو جذب عاطفة تشهد لنا بالترقي وادركنا من شأو المتقدمين ما تشرئب اليه الأعناق وما نحن ببالغي ذلك منهم ولو صرنا لعبادتهم خاضعين

نشأ محمد صلى الله عليه وسلم أميا بين اميين ليسوا اهل ملك وسياسة حتى بلغ الاربعين ولم يكن له من شؤون دنياه في اكثر حالاته الا الاشتغال بعبادة ربه والانقطاع عما فيه الناس حينئذ فهو الى ذلك الحين أبعد عن مجاري السياسة ، ومعالج حيل الرئاسة ، حتى صدع بالدعوة بلا هوادة فيها وسار بها من أول امرها وفي جميع اطوارها برعاية ربه وعناية مرسله

سيراً حثيثاً كان له فيه القلب من أوله الى آخره بين جدال وجلاد، وبلاء واجتهاد، والقرآن لا غير مصدره ومورده، ومرشده ومعتمده، في كل شيء. ولقد كان يرجئ الامر حتى يتلقى فيه قرآناً ونحن نخاطب بذلك من يتصورون أطوار الرسالة المحمدية ويتخيلون حالة الامة العربية حينئذ ويمضون في فهم كتاب الله ويقدرونه قدره وما كان عليه العرب من النزول على حكم البيان الذي بلغ في القرآن مبلغ الاعجاز فكان عليه وحده في الهداية ونجاح الدعوة المعول اكثر من كونه صلى الله عليه وسلم على خلق عظيم او ذا سياسة وحنكة

(وكذلك اوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم * صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الأمور)

لم يذق أحد من نبغاء المسلمين اليوم ولا قبل اليوم بقرون فضلا عن المسيو كايتاني حتى سعادة الشيخ علي يوسف ما ذاق أصحاب النبي في عهده من القرآن وهم في حجور الوثنية، واحضان الهمجية، فاتتسلهم وطهرهم فكان موقع القرآن منهم موقع الزلال من ذي الغلة، والدواء من ذي العلة، والا فما كان يفعل محمد صلى الله عليه وسلم بدون تأييد الوحي المنزل الذي هو حجته الكبرى وآيته العظمى القائمة عند من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فلا يقال حينئذ «والا فالقرآن بين أيدينا ولم يعمل عمله فينا» (أولم يكفهم أنا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون)

لم يرتض اصحاب رسول الله ما قاله أبو سفيان وقد أقبلت جموع الفتح قبيلة قبيلة وهو قائم بين جمع من الصحابة وفيهم (العباس) أحد أعمام النبي صلى الله عليه وسلم حتى اقبل مع ابي بكر وعمر في كتيبته الخضراء يقولون الحمد لله وحده، صدق وعده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، فقال ابو سفيان (لعثمان) صار لابن اخيك ملك عظيم . فقال له يا ابا سفيان انما ذلك الوحي والرسالة. فكيف ترضي او تقبل ان يكون ما وصل اليه نبينا من الظفر والغلب في أمر دعوته الى الله بسياسته وحنكته ، اكثر من نبوته ورسالته؟ اللهم انا نبرأ اليك من هذا براءة الحق من الباطل. فليصن سعادة صاحب المؤيد غيرته على الاسلام من ان يغمض طرفه على اذى فيه قرب تلميح انكأ من تصريح ، ومدح آلم من تجريح ، وليحفظ مكانته في قلوب أهل ملته ، من ان يحابي في دينهم ، على مرأى ومسمع منهم ، فانه

لا موادة في الدين　　عبد الله الانصاري

(المنار) هذا وان الموضوع يتسع لإطالة القول وايراد الشواهد الكثيرة من الآيات الكريمة والسيرة النبوية وانما اكتفينا بما كتبناه على عجل في ادارة « الجريدة » لاننا نقصد به تذكير المسلمين ، لا إقامة الحجة على المخالفين ، وقد سكت صاحب المؤيد بعد نشرنا المقالة الثانية ويغلب على ظننا انه ندم على ما فرط منه ولكن كان يجب عليه ان ينشر حقيقة العقيدة الاسلامية في ذلك بالمؤيد ليطلع عليها من قرأوا كتابته الأولى اذ ما كل من يقرأ المؤيد يقرأ الجريدة (وبالعكس) ولو فعل لما نشرنا شيئاً من هذا البحث في المنار .